

المتقف والسلطة المشتركة في كتابات ميشال فوكو

The intellectual and shared power in writings Michel Foucault

أ. اعمر هرموش

قسم الفلسفة - جامعة صفاقس (تونس)

تاريخ القبول: 2020/02/14

تاريخ الإرسال: 2019/12/22

ملخص:

ارتبطت السلطة بأول اجتماع للجنس البشري في بناء أولى مستعمراته على الأرض ثم بدأت تتطور بتطور المجتمعات وتنظيماتها التي لم تكن بمعزل عن السلطة تقريبا، ولذلك تعدّ مسألة السلطة من أهم ما شغل الفلاسفة وما تزال كذلك، لكن في الغالب عندما يجري الحديث عن السلطة يتبادر إلى الأذهان أجهزة الجيش والأمن والحروب ... أي تحتل السلطة في أجهزة الدولة، لكونها في الكثير من الأحيان تقترب بالمقاومة، فمفهوم السلطة احتل حيزا هاما في التأصيل الفلسفي سواء من الجانب السياسي أو القانوني أو الاجتماعي فالسلطة محايثة للإنسان منذ بداياته الأولى حتى تناهيه إذ نجده يمارسها سواء كان محكوما أو حاكما في شتى مجالات الحياة وهذا ما يسمى بالمشارك أي السلطة المشتركة.

كرّس فوكو نفسه من أجل إخراج السلطة من الحلقة السياسية والبحث الفلسفي دافعا بها إلى دائرة الواقع، رافضا أن تكون السلطة موضوعا سياسيا، حيث وقف عند بنيتها الإستراتيجية وآليات عملها، محللا علاقاتها الديالكتيكية وقد تمّ هذا على يد ميشال فوكو لأول مرة فانتشرت السلطة بالمفهوم المشترك، فأصبحت شاخصة في كلّ مكان، فللطبيب سلطة يمارسها على مريضه، وللأستاذ سلطة يمارسها على تلاميذه ...، فالسلطة متأصلة في المجتمع تمارس من نقاط مشتركة لا حصر لها فهي لا ترى ولا تتكلم.

فالسلطة كمصطلح يعلمه الجميع لكن في جوهره أبعاد كثيرة، لهذا كان موضوعنا حول مفهوم السلطة في فلسفة ميشال فوكو حيث حاولت استنطاق حقيقة السلطة المشتركة ودور المتقف الذي جسده الماركسية والوجودية ومهمته صياغة مختلف القطاعات

التي يتواجد فيها، حيث يرى فوكو أنّ المشكل السياسي الأساسي بالنسبة للمثقف ليس في انتقاد المضامين الإيديولوجية التي قد تكون مرتبطة بالعلم، حيث تجب الممارسة العلمية المصحوبة بإيديولوجية صائبة، وبهذا قدّم فوكو مساهمة جديدة لمفهوم المثقف والسلطة.

الكلمات المفتاحية: السلطة، المثقف، المشترك، الخطاب، الذات، المجتمع.

Abstract:

The Authority was associated with the first meeting of mankind in the construction of its first colonies on earth and then began to evolve with the development of societies and their organizations that were not isolated from power. The question of power has been the most crucial concern of philosophers since ever. However, mostly when it comes to power, it comes to recall the army, security and wars This is what reduces power in the state apparatus.

The concept of power occupied an important place in the philosophical rooting, both from the political, legal and social side. The authority is sympathy for man from the very beginning until the end, as we find it practised whether he was ruled or ruling in various areas of life. This is called common power. Foucault devoted himself to driving power out of the political circle and philosophical research motivated by it.

This was done at the hands of Michel Foucault for the first time, and the authority spread in the universal concept and became found everywhere. The doctor has authority over his patient, and the professor has authority over his pupils. In society, they are practiced by countless common points. They do not see or speak.

Power as a term that everyone knows but in essence has many dimensions. Our topic is about the concept of power in the philosophy of Michel Foucault. It attempts to question the truth of the common authority, and the role of intellectuals embodied in Marxism and existentialism and his task to formulate the various sectors in which he exists, where Foucault believes that the main political problem For the intellectual not to criticize the ideological implications that may be associated with science where scientific practice must be accompanied by a correct ideology Foucault made a new contribution to the concept of intellectual and power.

Keywords: power, Intellectual; The shared, Self, the society.

مقدمة:

لقد حظي موضوع السلطة وخطابه عند فوكو باهتمام بالغ، فقد كانت معظم مؤلفاته تتكلم عن السلطة وعندما يتساءل هو شخصيا عن ما تحدث عنه في تاريخ الجنون أو في مولد العبادة، فلا يجد نفسه تكلم إلا عن السلطة، فلم تكن الوضعية السياسية التي كانت سائدة تطرح مشكلة السلطة لا من جهة اليمين أو من اليسار، ففي اليمين لم يكن هذا المشكل يطرح إلا من خلال ألفاظ الدستور، السيادة...؛ أي من خلال ألفاظ قانونية أمّا من جهة الماركسية فقد طرح من خلال ألفاظ جهاز الدولة، فالسلطة في الاشتراكية السوفيتية كانت ملقبة من طرف أعدائها بالاستبدادية الشمولية، وفي الرأسمالية الغربية يدين الماركسيون السلطة على أنها سيطرة طبقة معينة، لكن آلية السلطة لم تخضع أبداً للتحليل فلم يشرع في القيام بهذا العمل إلا بعد سنة 1968 أي انطلاقاً من النضالات اليومية.

قمنا باختيار هذا الموضوع للدراسة لأهميته؛ فالسلطة كمصطلح - ظاهرياً - هو واضح الدلالة لدى الجميع، ولكن في جوهره له عدة أبعاد، كما أنّ الدراسات المقدمة حول هذا الموضوع عند مشال فوكو هي قليلة جداً، وهذا ما دفعنا إلى طرح بعض التساؤلات المؤطرة للمقال منها: كيف تجلت حقيقة السلطة في فلسفة فوكو؟ وما علاقتها بالمشترك؟ وكيف كان الانتقال من السلطة الهرمية إلى السلطة المشتركة؟ وما هو دور المثقف في بناء السلطة المشتركة؟

• مفهوم السلطة:

السلطة مفهوم أخلاقي يشير إلى النفوذ المعترف به كلياً، لفرد أو لنسق من وجهات النظر ولتنظيم مستمد من خصائص معينة مؤداة، وقد تكون السلطة سياسية أو أخلاقية أو علمية...، ويتوقف ذلك على مجال النفوذ، ووجود جهاز للسلطة شرط جوهري لتطور التطبيق التاريخي الاجتماعي. وتؤدي السلطة دوراً هاماً في ظروف البناء الاشتراكي حيث يتم إشراك جميع الشعب العامل إيجابياً في شؤون المجتمع⁽¹⁾.

وقد تؤدي إساءة استخدام السلطة في التحليل النهائي إلى فقدان الثقة في السلطة أو إلى العبادة العمياء لها التي تؤدي إلى عبادة الشخصية، وقد أكد المؤتمر الثاني والعشرون

للحزب الشيوعي السوفييتي الاختلافات الواسعة بين سلطة القادة وبين عبادة الشخصية وبين أن السلطة ينبغي اكتسابها بفضل الخدمة الإيثارية للشعب والحزب بالعمل الدائب وبمعرفة عميقة بالمهمة الجاري تنفيذها، على المرء لكي يحتفظ بالسلطة أن ينصت للرأي العام، وأن يظل على اتصال مباشر بال جماهير، وأن يعتمد على تجربتها، ويشكل النقد الذاتي الشرط الذي يحول بين السلطة وبين تحولها إلى عبادة الشخصية⁽²⁾، أما السلطة العامة فهي إحدى الخصائص الأساسية للدولة كتنظيم يتميز عن التنظيم القبلي الذي سبق ظهور الطبقات، وقد كان "انجلز" أول من كشف أهميتها (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة)، والسلطة منفصلة عن الشعب وتدافع عن مصالح المستغلين وهم الأقلية في المجتمع⁽³⁾، ويمارس الأشخاص الذين يصبح الحكم بالنسبة إليهم مهنة الموظفون والجيش والبوليس...، والمؤسسات الرئيسية الهامة الملحقة بالسلطة العامة هي المحاكم والسجون وغيرها من المؤسسات العقابية⁽⁴⁾.

• مفهوم السلطة عند فوكو:

نال مفهوم السلطة عند فوكو عناية ودراسة وبحثا من قبل الدارسين، على عكس المناحي الأخرى في فلسفته، فما هي السلطة عنده؟

يقول فوكو: "لا أعني السلطة أي مجموعة المؤسسات والأجهزة التي تضمن خضوع المواطنين في إطار دولة ما، كذلك لا أعني بكلمة سلطة نمط من الإخضاع الذي هو على العكس من العنف، إنما يتخذ شكل قاعدة وأخيرا لا أعني بكلمة سلطة نظاما عاما من جهة الهيمنة يمارسه عنصر أو مجموعة على عنصر آخر أو مجموعة أخرى (...). وكذلك تعني كلمة سلطة الاستراتيجيات التي بواسطتها تفعل موازين القوى فعلها والتي تتحدد خطتها العامة، أو تبلورها المؤسسي في أجهزة الدولة وصياغة القانون والهيمنة الاجتماعية⁽⁵⁾.

إن كلمة سلطة كلمة ملتبسة كباقي الكلمات التي يستعملها الفيلسوف، في مثل لغة الخطاب، والمعرفة، وهذا اللبس نابع أساسا من أصل السلطة أو هويتها، فيعتمد فوكو إلى تعريف السلطة بنفيه أن تكون كمجموع المؤسسات والأجهزة، أي ينفي أن تكون السلطة معادلة للدولة، ولكن لا ينفي أن تكون الدولة معطى أساسي في مفهوم السلطة، كما ينفي

أن تكون السلطة مساوية للعنف والإخضاع والهيمنة وذلك لأن فوكو لا يرى أن الدور الوحيد للدولة هو العنف، بل يعطي للسلطة دورا إيجابيا⁽⁶⁾.

تحديد مفهوم السلطة عند فوكو كان نتيجة عوامل تاريخية، فكرية وسياسية، خاصة ما شهدته الأحداث السياسية الكبرى التي عرفت أوروبيا، خاصة الحرب العالمية الثانية وظهور أنظمة شمولية (كالستالينية) نسبة إلى ستالين والنازية والفاشية وأحداث ماي 1968 بالنسبة لفرنسا خاصة وأوروبا وأمريكا عامة⁽⁷⁾. كذلك بعيدا عن العوامل التاريخية، فهناك عوامل فكرية لا ينكرها فوكو وتتعلق بمفكرين وفلاسفة أمثال ميكيايلي ونيتشه وماكس فيبر، حيث يعترف بدور ميكيايلي في كونه عالج موضوع سلطة الأمير من زاوية علاقات القوى⁽⁸⁾. وأيضا يعترف بدور نيتشه "فيلسوف القوة والإرادة" كذلك في تشكيل مفهوم السلطة قائلا: "نيتشه هو الذي جعل من علاقة السلطة الهدف الأساسي للخطاب الفلسفي ... نيتشه هو فيلسوف السلطة وهو الذي استطاع التفكير في السلطة دون الانغلاق في النظرية السياسية"⁽⁹⁾. كما نجد عالم الاجتماع ماكس فيبر الذي لا ينكر تأثيره خاصة في مسألة الانضباط وأصله الديني.

فالسلطة إذن كما قلنا سابقا لا يحصرها فوكو في الدولة ولا يرى أنّ الدولة مصدر السلطة⁽¹⁰⁾. ولكنه لا يقلل من أهمية سلطة الدولة، إنما يرى التركيز فقط على سلطة الدولة، بذلك فقد تعدى فوكو الانتقال من مفهوم السلطة القائم على علاقات القوى إلى فهم واقع يتناول فنون الحكم وأشكال الدول، هذا الانتقال الذي لا يعتبر تحولا وانقطاعا بل تعديلا وتوسيعا لمفهوم السلطة⁽¹¹⁾.

• من السلطة الهرمية إلى السلطة المشتركة:

ارتبطت السلطة بأول اجتماع للجنس البشري في بناء أول مستعمراته على الأرض ثم بدأت تتطور بتطور المجتمعات وتنظيماتها التي لم تكن بمعزل عن السلطة تقريبا⁽¹²⁾. إذ تعد مسألة السلطة أهم ما شغل الفلاسفة منذ الأزل، وما تزال كذلك، وذلك لأهميتها في تنظيم وتكوين النظام الذي تقوم عليه من أجل توفير الراحة والأمن لرعاياها لكن في الغالب عندما يجري الحديث عن السلطة يتبادر إلى الأذهان أجهزة الجيش والأمن والحروب

هذا ما يختزل السلطة في أجهزة الدولة، لكونها في الكثير من الأحيان تقترب بالمقاومة فمفهوم السلطة احتل حيزا هاما في التأصيل الفلسفي سواء من الجانب السياسي والقانوني والاجتماعي، فالسلطة محايدة للإنسان منذ بدايته الأولى حتى تنهيه إذ نجده يمارسها سواء كان محكوما أو حاكما في شتى مجالات الحياة وهذا ما يسمى بالمشترك أي السلطة المشتركة.

كرس فوكو نفسه من أجل إخراج السلطة من الحلقة السياسية والبحث الفلسفي دافعا بها إلى الواقع رافضا أن تكون السلطة موضوعا سياسيا، حيث وقف عند بياناتها الإستراتيجية وآليات عملها محلا لعلاقاتها الديالكتية وقد تم هذا على يد ميشال فوكو لأول مرة فانتشرت السلطة بالمفهوم المشترك فأصبحت شاخصة في كل مكان فللطبيب سلطة يمارسها على مريضه، وللأستاذ سلطة يمارسها على تلامذته، فالسلطة متأصلة في المجتمع تمارس من نقاط مشتركة لا حصر لها، فهي لا ترى ولا تتكلم⁽¹³⁾.

السلطة موجودة في أسفل المجتمع، في المدارس، في المستشفيات وفي مجال الطب بمعنى أن السلطة تمارس أكثر مما تمتلك⁽¹⁴⁾. لا في القصر الحكومي أو على المستوى السياسي فقط بمعنى أن السلطة ليست مجرد هرم سياسي بل تأتي من الأسفل، ففوكو لا ينظر للسلطة من الأعلى لأن هذه النظرة تفيد أن السلطة في يد أجهزة الدولة ومؤسساتها التي تخضع المواطنين لها مما يعني أن فوكو يتجرد كليا من هذا التحديد السلطوي الهرمي التقليدي وهذا ما صرح به فوكو في قوله: "إني لا أعني بالسلطة مجموعة المؤسسات وأجهزة تؤمن خضوع المواطنين في دولة معطاة ولا أعني بالسلطة كذلك نمطا للإخضاع قد يكون له بتعارض مع العنف، شكل القاعدة وأخيرا فإني لا أعني بها منظومة عامة للسيطرة يمارسها عنصر أو مجموعة على أخرى"⁽¹⁵⁾. فالسلطة متعددة الأوجه ليس لها وجه واحد فهي خاضعة للحسد الاجتماعي مما يجعلها متعددة الأشكال والمظاهر فهي ليست ثابتة في شكل واحد "فالسلطة مجهرية تخترق العلاقات الاستراتيجية ضمن صراعات الحياة"⁽¹⁶⁾. ومن هذا فالعلاقة التي تجمع قائد الجيش بضباطه تعد في حد ذاتها سلطة، والعلاقة التي تجمع رجل الكنيسة بالمعترف له سلطة، والعلاقة التي تجمع الأب بأولاده سلطة، فالسلطة لها مجالها المتصل بعلاقات القوى المتعددة للسلطة⁽¹⁷⁾.

وهذا يعني أن السلطة تتولد في كلّ لحظة وفي كلّ مرحلة وفي علاقة المرحلة الأولى بالثانية، فهي تأتي في كلّ جهة مما يجعلها متجسدة في كل مكان، فالسلطة مشتركة ليست بنية فوقية منعكسة لما هو تعسفي بل تسري في الجسد الاجتماعي بأكمله، فهي تخلق كل شيء بل تحتوي الكل لا شيء إلا لأنها فعل مشترك، مما يعني أنها ليست مؤسسة بل تعتبر قوة معينة يتوفر عليها بعض الناس، فهي تعبر عن وضعية إستراتيجية معقدة في مجتمع معين، كما أنها لا يمكن أن تنتزع أو يتم اقتسامها.

إنّ السلطة لا حصر لها تمارس ضمن شبكة التفاعل بين العلاقات غير المتساوية والمتحركة، كما لها فاعلية مع علاقات أخرى لا يمكن أن تخرج عن نطاقها (عمليات اقتصادية، عمليات معرفية، علاقات جنسية) بمعنى أنها ملازمة لهذه العلاقات فليس لها دور المنع بل لها دور الإنتاج مباشرة، فما يشكل المبدأ الأساسي والنواة المولدة للسلطة هو مبدأ الشمولية الذي يجوب مختلف جموع الجسد الاجتماعي، فالعلاقات السلطوية هي علاقات قائمة على مبدأ القصد المشترك، فمن غير الممكن أن توجد سلطة دون أن تحدد وتحدد مقاصدها وأهدافها التي تسعى إلى تحقيقها، ولا يمكن أن نرجع السلطة وتوجيهاتها إلى الفرد أو المجتمع أو الهيئة التي تتولى الحكم أو التملك بل تعود في مجملها إلى تدابير خاصة وتقنيات أعمال فهي تعتمد على التكتيكات والاستراتيجيات أكثر من الاعتماد على مسلمة الملكية، فهذه الأخيرة تعني الخضوع التام مما يجعل الخاضع لها يقوم بتطبيق كل ما هو صادر من جهتها، بمعنى أن هناك صفة من التأثير على الطرف الآخر، فالبعض يؤثر على البعض دون أدنى نوع من العنف، بمعنى لا وجود للعنف التام.

لا يتصور فوكو السلطة خارج إطار المقاومة مما يجعلها لا تستغني عن الحرب في جميع الأحوال، فالمقاومة متمركزة في جميع شبكات السلطة المشتركة، حيث يبين وجود أنواع من المقاومات والنضالات، فهذه المقاومات تقاوم أشكال الهيمنة باختلافها سواء كانت على الصعيد الإثني أو الاجتماعي أو الديني، وتلك التي تدين أشكال الاستغلال التي تفصل الفرد عما ينتجه وتلك التي تحارب كل ما يربط الفرد بنفسه ويضمن بالتالي خضوعه للآخرين⁽¹⁸⁾، وإن وجدت النضالات ومختلف أشكال المقاومة لا تعتبر ثورة بل مجرد رفض

لمظاهر الهيمنة، فالسلطة قد اخترقت كل شيء لم تعد تعمل وفق البنية الفوقية بل تعمل وفق مكونات بسيطة ومعدات مقترنة بالبنية الاجتماعية، وهذا يعني أنّ السلطة تسري بشكل أفقي لا هرمي تأتي من تحت، ولهذا نجد السلطة نفسها في مواجهة عدة نقاط من المقاومة كونها منتشرة في الشبكة الاجتماعية، فلا وجود للمقاومات إلا في ظلّ الحقل الاستراتيجي للعلاقات السلطوية فنقاط المقاومة ومراكزها منتشرة بكثافة متفاوتة في الزمان والمكان والأفراد، وتشغل بعض نقاط من الجسد وبعض أنماط السلوك⁽¹⁹⁾.

هذا يعني أنّ السلطة ليست حكرًا على المستوى السياسي فقط، وإنما تمس عدة نقاط من الشبكات الاجتماعية والممارسات اليومية من نزاعات وانقسامات أسرية...، فالسلطة على المستوى الذهنية السياسية قائمة على أساس الهيمنة التي تؤوّل إليها السلطة في نهاية المطاف، أما السلطة نفسها فهي تمتلك علاقات ولها مؤسساتها الخاصة التي تعمل خارج نطاق الحقل السياسي الخاضع للهيمنة، وبهذا يقرّ فوكو أنّه لا يضع المقاومة في مقابل جوهر السلطة⁽²⁰⁾ لكون السلطة تتوزّع استراتيجيًا في عدة نقاط مشتركة وفي كل صوب في مستويات متباينة من شبكة السلطة، فلم تعد السلطة تتموضع داخل جهاز الدولة حسب المفهوم السائد، ويذهب "فوكو" إلى أكثر من هذا، حيث اهتم بدراسة آليات عمل السلطة المشتركة وتحقيقها.

● العلاقة بين السلطة والمثقف:

يميز فوكو بين المثقف الكوني (universel) وبين المثقف المتخصص (spécifique) ويرى أنّ عصر المثقف مالك الحقيقة والعدالة وضمير المجتمع وممثل الكل، قد ولى وحلّ محله عصر العلم المتخصص في ميدان محدد ومجال معين⁽²¹⁾.

المثقف الكوني له تاريخ طويل جسده الماركسية والوجودية، والمثقف المتخصص وُلد الحرب العالمية الثانية، وكان لأحداث "ماي 1968" الدور الأساسي في إظهاره إلى العلن فصورة المثقف الكوني هي صورة ممتازة للكاتب والكتابة، أما المثقف المتخصص فهو مثال للعالم الذي تجسده صورة العالم الذري "أونهاينر" الذي ناضل ضمن ميدانه العلمي وهو الفيزياء النووية خلال الحرب العالمية الثانية، فالمثقف المتخصص يتميز بصفات، فهو الذي

يشتغل في قطاع محدد وحول موضوعات محددة، وهو الذي لا يعطي دروسا ولا يقوم بالتوجيه العام، إنما يقدم أدوات العمل ويوضح مسألة معينة أو يبين وضعية جديدة، وليس مرتبطا بجهاز الإنتاج وإنما مرتبط بجهاز المعلومات، وهو الذي يستطيعه نائيا مع دعوى الشمولية والكلية ويمارس يقظة سياسية ونظرية في ميدان عمله، وهو المحلل والناقد لأنظمة الفكر وليست مهمته سنّ القوانين واقتراح الحلول، وإنما التحويل أو التغيير من خلال ميدانه وبالتالي فإن مهمة المثقف هي صياغة تدخل مختلف في كل القطاعات التي يتواجد فيها⁽²²⁾.

يقول فوكو: "إنّ المشكل السياسي الأساسي بالنسبة للمثقف ليس هو أن ينتقد المضامين الإيديولوجية التي قد تكون مرتبطة بالعلم، أو أن يعمل بحيث تكون ممارسته العلمية مصحوبة بإيديولوجية صائبة، بل هو أن يعرف إذا كان من الممكن إنشاء سياسة جديدة للحقيقة، فالمشكل هو ليس تغيير وعي الناس أو ما يوجد في ذهنه بل تغيير النظام السياسي والاقتصادي والمؤسسي للحقيقة⁽²³⁾". وبالتالي فإن المثقف يؤدي دورا في تغيير الأمور السياسية والاقتصادية فإنه يتمتع بسلطة.

على كل فإنّ فوكو قد قدم مساهمة جديدة بمفهوم المثقف والسلطة، هذه المساهمة وغيرها في ميدان اللغة والخطاب والمعرفة والذات، هي التي تشكل فلسفة فوكو بمميزاتها.

● السلطة والذات:

تمت صياغة الذات في الأبحاث السابقة عن تاريخ الجنسية في صورة سلبية خاضعة لمختلف طرائق التوضيع، أما في أبحاثه عن تاريخ الجنسية فأحدث صورة إيجابية وأصبحت لها دور فعال في المعرفة والسلطة⁽²⁴⁾، فلقد صرح في الثمانينيات لإحدى المجلات اللندنية "إنني أريد في المستقبل أن أدرس علاقات السلطة بالانطلاق من تقنية الذات"⁽²⁵⁾.

يعني دراسة تقنيات الذات أو تكنولوجيا الذات فالأعمال السابقة عن تاريخ الجنسية لم تحمل الذات، وإنما كانت المعارف والسلطة هي التي تعين لها مكانتها، ولكن الجانب المهمل أو الغائب هو الذات الفاعلة أو الممارسة، فلقد كانت حاضرة مثلا في "الكلمات والأشياء" في صورة الإنسان، ولقد حاول تشكيلها في مواقع الانفصال باعتبارها تجربة

وممارسة ومسألة علمية، فليس هناك ذات مسؤولية أو ذات كلية نجدها في كل مكان بل الذات تتشكل وتتكون عبر مختلف ممارسات التوضيع فتتشكل إما عبر ممارسات الإخضاع والسيطرة أو عبر ممارسات التحرر والاستقلالية والإبداع⁽²⁶⁾.

وعليه فليس هناك نظرية في الذات، كما أنه ليس هناك نظرية في الخطاب أو في السلطة أو في المعرفة، وإنما هناك مفاهيم تتشكل عبر التاريخ⁽²⁷⁾، فالذات شكل وليست جوهرًا، شكل غير ثابت وقد تكون هناك علاقات بين مختلف أشكال الذات لكن ليس هناك حضور للذات الواحدة عبر أشكالها المختلفة، ففي كل حالة تقيم الذات مع نفسها ومع غيرها أشكالًا مختلفة من العلاقات، وهو ما يسمح بالقول بالشكل التاريخي للذات عبر مختلف الممارسات والتجارب وعبر علاقات المعرفة- السلطة⁽²⁸⁾.

لذا نقول أنّ الذات هي حصيلة مختلف الممارسات الخطابية وغير الخطابية وهي بذلك تخضع لمبدأ الكثرة والتعدد والاختلاف مما يقربها من مفهوم "فيغن شاتين" مع فارق أساسي هو كون الذات عند فوكو تاريخية وتخضع لعلاقات المعرفة والسلطة وما نجده أن فوكو أنكر الذات كجوهر وكوعي مفارق أو "ككوجيتو"، ولكن أكد من جهة أخرى أن الذات بناء ونفهم من عملية البناء هذه تداخل عمليتين هما التوضيع والتذويت، أي أنّ هناك معنيين لكلمة الذات؛ ذات خاضعة للغير بواسطة المراقبة والتبعية، وذات متعلقة بجهيتها الخاصة بواسطة الوعي أو معرفة النفس⁽²⁹⁾. وبالتالي فالسلطة وفق المفهوم الجديد فعل من أفعال الآخرين لها علاقة مباشرة بالذات، ولذلك فالسلطة لا يمكن أن تمارس إلا على ذوات حرة فاعلة وعاقلة، وبذلك تكون الذات كما يقول "جيل دولوز" مجموع متفاعل مؤقت فان من الثني واختلاف المسالك أنّها شبكة علاقات وسيرورة تكون تلك العلاقات لأنّها لون من الرغبة والمتعة والمعرفة والسلطة، وعلاقة القوى بارتباطاتها بعلاقة الذات بذاتها. هذه الذات هي الشكل المتعدد والتي تقيم علاقات مختلفة مع المعرفة والسلطة أو مع الممارسات الخطابية وغير الخطابية، فما علاقتها بالخطاب؟

• العلاقة بين السلطة والمجتمع:

استعمل فوكو في أكثر من تحليل للسلطة صفة المجتمع الانضباطي، هذه السلطة الحيوية باعتبارها تدير حياة السكان وتستخدم مختلف أشكال الانضباط، من أهمها مراقبة وسلطة المعيار وتقنية الفحص والامتحان⁽³⁰⁾. إنّ ما هو مهم في المجتمع الانضباطي هو فكرة المجتمع ذاتها، أي المجتمع الذي تشكّله الانضباطات ومختلف تقنياتها، يترتب عن هذا الانضباط الذي يصنع الأفراد الذين يشكلون المجتمع الانضباطي، والمجتمع الرأسمالي في نظره هو مجتمع الانضباط والمراقبة والمعيار، سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية الاجتماعية ولذلك فإن الرأسمالية في نظره لا تنتج السلع فقط، بل تنتج الأفراد كذلك أو بصورة أدق الإنسان الاجتماعي المنتج.

لذا فإن المجتمع بالنسبة لفوكو ليس وحدة مقسمة إلى اثنين، بل وحدة مقسمة إلى عدة أجزاء، موزعة على الجسد الاجتماعي تحترفها السلطة، كما أنه ليس للسلطة مركز فذلك المجتمع لا يتحدّد ببطقة معينة، بل بمجموع فئاته من مختلف المؤسسات التي تحكمها مختلف علاقات السلطة⁽³¹⁾.

• العلاقة بين السلطة والإستراتيجية:

إذا كان "فوكو" لا يفصل السلطة عن علاقات القوى التي هي علاقات حرية فإنه كذلك لا يفصلها عن الإستراتيجية والتكتيك ويحدّد "فوكو" كلمة الإستراتيجية بثلاث معاني فالمعنى الأول يعكس الوسائل المستخدمة لبلوغ غاية معينة، المعنى الثاني يتعلق بالطريقة التي يتصرّف بها أحد أطراف العلاقة، التي يحاول من خلالها التأثير على الآخرين المعنى الثالث هو الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام⁽³²⁾.

يعتقد فوكو أن المعنى الثالث هو الأساسي مادام يجمع بين علاقة السلطة وإستراتيجية المجابهة، وذلك لأن فوكو لا يتصوّر السلطة خارج المقاومة، كما لا يتصوّر السلطة خارج إستراتيجية الحرب، فحينما توجد السلطة توجد المقاومة، ولكن طبيعة هذه المقاومة أنها

ليست خارج السلطة، فنقاط المقاومة موجودة في كل مكان من شبكة السلطة، فالسلطة ليست وليدة طبقة أو عامل اقتصادي أو اجتماعي معين، بل وليدة سلطات مختلفة جزئية⁽³³⁾.

ويترتب على هذا أنّ السلطة ليست جوهرًا أو ليس لها جوهر، فهي علاقة قوى تمارس عبر نشاط، فالسلطة ممارسة وليست ملكية، ولا امتياز طبقة عن طبقة ودورها ليس القمع فقط بل الإنتاج كذلك، فالسلطة الحديثة والتي لا يرى فيها البعض إلا الوجه السالب، فإن فوكو يرى بأنها تتميز أيضا بالإيجاب والإنتاج⁽³⁴⁾.

• علاقة السلطة بالمعرفة:

لتوضيح العلاقة بين السلطة والمعرفة علينا أن نتخلى عن تصورنا الذي يجعلنا نفصل بين المعرفة كمجال للحرية والقيمة والأخلاقية، وبين السلطة كمجال للقهر والشر والقيام بتصور جديد يقوم على الجمع بين المعرفة والسلطة دون المساواة بينهما⁽³⁵⁾. المعرفة وإن كانت تملك السلطة فهي ليست سلطة، والسلطة إن كانت تنتج المعرفة إلا أنها ليست معرفة، فالسلطة والمعرفة تقتضي إحداها الأخرى، فلا توجد علاقة سلطة بدون تأسيس مناسب لحق المعرفة، ولا توجد معرفة تفترض ولا تقيم لذات الوقت علاقة سلطة⁽³⁶⁾.

يثبت فوكو هذه العلاقة من خلال دراسته لثلاث أشكال من المعارف، هي القياس والتحقيق والامتحان؛ فالقياس يربط بالمدنية الإغريقية فمنه خرجت الرياضيات اليونانية والتحقيق منه خرجت العلوم التجريبية منذ عصر النهضة إلى يومنا هذا، والامتحان هو الأساس الذي من خلاله طهرت العلوم الإنسانية والتي تشكل القطعة الأساسية في السلطة الانضباطية⁽³⁷⁾.

المقصود هنا هو إظهار مختلف العلاقات السلطوية التي تجسد هذه المعارف، ولقد ركز فوكو على علوم تجسد بشكل مباشر هذه العلاقة مثل الطب النفسي والتحليل النفسي وعلم الإجرام، ولعل دراسته عن "بيار ريفيار" نموذج لمثل هذا التوجه والدراسات التي تؤكد أنه من غير الممكن ممارسة السلطة دون معرفة، وأنه من غير الممكن أن تكون هناك معرفة لا تصدر عنها السلطة⁽³⁸⁾. ولعل هذا النموذج الحي لعلاقة المعرفة - السلطة يتمثل في نص

بيار ريفيار وذلك أنه في 3 يونيو (جويلية) 1935 وقعت جريمة حيث قتل ريفيار أمه الحامل أخته وأخاه تحت دعاوى عديدة لعل أهمها العلاقة السيئة التي تجمع الأب بالأم ولكي يثار ريفيار لأبيه من معاملة أمه الجائرة عمد إلى هذه الجريمة ولقد حكم على ريفيار بالإعدام ثم بالسجن مدى الحياة.

خاتمة:

من خلال التعرض لهذا الموضوع بالبحث توصلنا إلى النتائج التالية:

- لقد كان اهتمام "فوكو" بالسلطة والخطاب مستغرقا حيزا كبيرا من كتاباته حيث يعطي للسلطة دورا إيجابيا، وهي مجموعة من علاقات قوى ضمن استراتيجيات محددة، وتتميز بكونها منتجة، لا تتجسد في مركز أو مؤسسة أو ذات، بل هي ممارسة مبعثرة ومنتشرة فوق الجسد الاجتماعي كله.

- إنَّ فوكو لا يفصل السلطة عن الإستراتيجية، ولا يفصلها عن المقاومة .

- إنَّ فوكو في تحديده لمفهوم السلطة كانت له عدة عوامل تاريخية سياسية فكرية، فهو يربط السلطة بعدة علاقات من أهمها علاقاتها بالمعرفة فهناك من العلوم ما يجسد هذه العلاقة، وعلاقاتها بالمجتمع كما أيضا لها علاقة مع المثقف حيث ميّز فوكو بين المثقف الكوني والمثقف المتخصص، فالمثقف له دور مهم في تغيير الأمور السياسية والاقتصادية فهو يتمتع بالسلطة.

- لعل ما كان يتمنى فوكو تحقيقه هو دراسة السلطة من خلال الذات فالذات هي حصيلة مختلف الممارسات الخطابية وغير الخطابية وهي تاريخية وتخضع لعلاقة السلطة، هاته الأخيرة التي لها علاقة مباشرة بالذات، الذات التي يعتبرها فوكو خطابا.

- حظي الخطاب عند فوكو بمكانة خاصة في الإنتاج الفكري، سواء من حيث الكم ويتعلق ذلك بمجموعة من الدراسات أهمها أركيولوجية المعرفة، نظام الخطاب، أو من حيث التفكير الذي جعله في نظرنا مجالاً للتحليل والدراسة الفلسفية.

الإحالات والهوامش

- (1) - روزنتال بودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، ط3 ، 1983، ص 248.
- (2) - روزنتال بودين: الموسوعة الفلسفية، المصدر نفسه، ص 249.
- (3) - روزنتال بودين: الموسوعة الفلسفية، المصدر نفسه، ص 249.
- (4) - روزنتال بودين: الموسوعة الفلسفية، المصدر نفسه، ص 249.
- (5) - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، د ط، 1992، ص 101.
- (6) - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، المصدر نفسه، ص 103.
- (7) - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، المصدر نفسه، ص 102.
- (8) - دريفوس، أوبيزو، راينوف، بول، ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي بيروت، د ط، د ت، ص 96.
- (9) - دريفوس أوبيزو، راينوف، بول، ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، المرجع نفسه، ص 102.
- (10) - دريفوس أوبيزو، راينوف، بول، ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، المرجع نفسه، ص 98.
- (11) - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، المصدر السابق، ص 98.
- (12) - رعد عبد الجليل: مفهوم السلطة السياسية (مساهمة في دراسة النظرية السياسية)، مجلة دراسات دولية، ع 37، ص 122.
- (13) - جيل دولوز: المعرفة والسلطة، ص 89.
- (14) - نور الدين الشابي: أنطولوجيا الراهن (مسألة الالتزام من منظور ميشيل فوكو)، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 35، بيروت، خريف 2015، ص 27.
- (15) - ميشيل فوكو: تاريخ الجنسانية إرادة العرفان، ج1، ترجمة محمد هشام، دط، إفريقيا الشرق المغرب 2004، ص 76.
- (16) - عبد العالي معزوز: فوكو وميكروفيزياء السلطة، مدارات فلسفية، ع 13، الجمعية الفلسفية المغربية 2008، ص 204.
- (17) - ميشال فوكو: جينيالوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السلطاني وعبد السلام بن عبد العالي، ط2 دار توبقال للنشر، المغرب 2000، ص 104.
- (18) - دريفوس راينوف: المسيرة الفلسفية. ص 190.

- (19) - ميشال فوكو: إرادة المعرفة: ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة مطاع صفدي، د ط، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص 105.
- (20) - برنارد هنري ليفي: لا لسيطرة الجنس ميشال فوكو، مجلة بيت الحكمة، ع1، ط2، د.ب. 1986 ص ص 74-75.
- (21) - ميشال فوكو: نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير بيروت، د ط، 1984، ص 83.
- (22) - محمد الشيخ: المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت ط1، 1991، ص 23.
- (23) - ميشال فوكو: نظام الخطاب، المصدر السابق، ص 84.
- (24) - ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سالم ياقوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، د ط، 1986، ص 21.
- (25) - ميشال فوكو: حفريات المعرفة، المصدر نفسه، ص 22.
- (26) - ميشال فوكو: حفريات المعرفة، المصدر نفسه، ص 22.
- (27) - جيل دولوز: المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم ياقوت، المركز الثقافي العربي بيروت - لبنان، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1987، ص 28.
- (28) - محمد علي الكبسي، ميشال فوكو تكنولوجيا الخطاب تكنولوجيا السيطرة على الجسد، دار سيراس للنشر، تونس، د ط 1993، ص 53.
- (29) - محمد علي الكبسي: المرجع السابق، ص 54.
- (30) - ميشال فوكو: المراقبة والعقاب، المصدر السابق، ص 296.
- (31) - ميشال فوكو: المصدر نفسه، ص 297.
- (32) - ميشال فوكو: إرادة المعرفة، المصدر السابق، ص 105.
- (33) - ميشال فوكو: إرادة المعرفة، المصدر نفسه، ص 106.
- (34) - ميشال فوكو: إرادة المعرفة، المصدر نفسه، ص 107.
- (35) - ميشال فوكو: المراقبة والعقاب، المصدر السابق، ص 65.
- (36) - ميشال فوكو: المراقبة والعقاب، المصدر نفسه، ص 66.
- (37) - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المطابع الأميرية، دط، 2000، ص 249.
- (38) - ميشال فوكو: المراقبة والعقاب، المصدر السابق، ص 299.